



مركز

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
www.almadasupplements.com
العدد (5394) السنة العشرون - الأربعاء (22) آذار 2023

منارة
m a n a r a t
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



كنز ابورو أوي

2023 - 1935

كينزابورو أوى يحكي عن أسطورة قريته

كامل يوسف حسين

”

اعاني من العزلة ويغمرنى حزن جارف عندما أتأمل وضعي الراهن في عالم الإبداع، المثقفون اليابانيون لم يبدعوا نظريتهم الثقافية لأنهم يفكرون من خلال أوروبا وأمريكا، أعارض بشدة تصدير الثقافة اليابانية إلى العالم واليك أسباب موقفي:

“

عندما أعلنت لجنة الأكاديمية الملكية السويدية فوز الروائي الياباني كينزابورو أوى بجائزة نوبل في الأدب للعام ١٩٩٤م، لم يكن ذلك مفاجأة لكثيرين على مستوى العالم كله، فالكاتب الكبير معروف في العديد من الدوائر العالمية، لا بفضل إبداعه الروائي فحسب، وإنما كذلك بحكم نشاطه الكبير في ميدان حقوق الإنسان ورفض سباق التسلح النووي العالمي، ولم يكن سرا أن اسمه مدرج منذ سنوات في القائمة القصيرة للمرشحين بالجائزة، وقد نوقشت احتمالات فوزه بها مرات عديدة، ونشر جانب من هذه المناقشات في أكثر من دورية واحدة، أبرزها مجلة "ورلد لتر تشر توداي". هكذا فإنه خلافا لما أشارت إليه الصحف وأجهزة الإعلام العربية، في حينه، لم يكن فوز أوى مفاجأة لأحد، وكل ما هنالك أنه لم يكن لدى البعض من المعلومات عن أوى ما يتوافق مع ما درجت عليه الدوائر العالمية من اهتمام كبير بالفائز بهذه الجائزة بصفة خاصة.

وفي عالمنا العربي، كان من حسن الحظ حقا أن القارئ العربي وجد لديه، وبلغته الأم، عملين للكاتب الياباني الكبير، هما "مسألة شخصية" التي ترجمها الشاعر وديع سعادة وصدرت عن مؤسسة الأبحاث العربية في إطار سلسلة "ذاكرة الشعوب" في العام ١٩٨٧، ومجلد "علمنا أن نتجاوز جنونا" من ترجمة كاتب هذه المقدمة وإصدار دار الآداب البيروتية في العام ١٩٨٨، والذي يضم أربع روايات قصيرة، هي على التوالي: "علمنا أن نتجاوز جنونا" و"يوم يكفك دمعى بنفسه" و"الجزء" و"أجوى المسخ السماوي".

ورغم وجود مقدمة مطولة عن كينزابورو أوى تنص "علمنا أن نتجاوز جنونا"، فإن القارئ العربي، في اعتقادي، يظل بحاجة لمعرفة المزيد عن كينزابورو أوى، وعن المؤثرات في أدبه، وأبعاد عالمه الروائي، خاصة وأن هذا العالم لا يفتقر إلى التركيب، إن لم نقل التعقيد، ومن هنا تأتي أهمية هذه المقالة التي أجريت مع أوى خلال زيارته لهاواي مؤخرا، والتي ظل خلالها محتفظا بروحه المعنوية العالية، على الرغم من أن ابنه الذي ولد باعاقه ذهنية دائمة كان مابزال في غمار جهوده الشاقة لتحقيق التواصل العملي الأول مع العالم، عبر إصدار أسطواناته الأولى التي تضم أعمالا موسيقية كلاسيكية كما كان أوى حزيناً وفي حالة تأثر شديد، عقب تعرض زوج شقيقته زوجته، المخرج الذائع الميث جوزو ايتامي للطعن بخنجر حاد من أحد أعضاء العصابات اليابانية الشبيهة بالمافيا، والمعروفة تقليدياً باسم "الباكوزا" رداً على هجوم ايتامي على هذه العصابات وسخريته منها

في أحد افلامه.

وقد رد أوى على الأسئلة خلال المقابلة التي نشرت في مجلة "مانوا" الصادرة عن جامعة هاواي تحت عنوان "أسطورة قرية كينزابورو أوى" باللغة الإنجليزية بلكنة يابانية، ولكن بتواصل يحمل روح أوى المرحة. ولجرد إعادة التذكير بالحقائق الأساسية المتعلقة بكينزابورو أوى لمن يطالع هذا الحوار دونما معرفة مسبقة بجانب من المعلومات الضرورية عنه لكي يتمكن من فهم ومتابعة ما يطرحه هنا، نشير إلى أن الروائي الياباني الكبير ولد في العام ١٩٣٥ في قرية أرسى، في مقاطعة إيهامي، بجزيرة شيكوتو اليابانية الواقعة في غربي اليابان، على أرض تحكمها الأعراف الريفية التقليدية، وفي تجمع قروي يتميز بالمحبة العميقة بين أبنائه، وكذلك بشيء من غرابة الأطوار، وهما العنصران اللذان سيشكلان أرضاً خصبة لانطلاق خيال أوى.

وقد درس أوى الأدب الفرنسي في جامعة طوكيو، بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال مرحلة الدراسة نظم قصائد "الواكا" وكتب المسرحيات والقصص القصيرة، ليلقى الضوء على الحياة في مسقط رأسه، وليرير ويفسر هذا الطابع الشديد الخصوصية، الذي تتميز به هذه المنطقة، ولو لنفسه في المقام الأول، ودارت أطروحة تخرجه عن التصوير في روايات جان بول سارتر.

وفي العام ١٩٥٨ وخلال دراسته الجامعية كذلك، فاز بجائزة أكوناجاوا، المخصصة لألمع الكتاب الشباب في اليابان، عن روايته القصيرة "الطريدة"، وانطلق مشواره الأدبي، وسط صحبكات نقدية تؤكد أنه أهم كاتب يظهر في اليابان منذ يوكيوميشيما.

وفي العام ١٩٦٤ عقب ميشيما نفسه على رواية أوى "مسألة شخصية" بقوله: "لقد وصل كينزابورو أوى إلى ذروة جديدة في رواية ما بعد الحرب العالمية الثانية في اليابان. وهذا الحكم يفرض نفسه الآن بمزيد من القوة، بعد ثلاثين عاماً من إطلاقه".

وقد تتابعت رواياته التي حصدت العديد من الجوائز بانتظام، ومن أبرز هذه الروايات "أقطفوا الزهور، اقتلوا الاطفال" (١٩٥٨) و"عصرنا" (١٩٥٩) و"الصرخات" (١٩٦٣)، و"مسألة شخصية" (١٩٦٤). أما

العمل الذي اثار اهتماما دوليا بأدب أوى فهو "الصرخة الصامتة" والذي اشادت به اللجنة الملكية السويدية في بيانها عن منحه جائزة نوبل لأوى وكذلك اشادت برواياته "رهان العصر" (١٩٧٩). أما عمله الموسوم "النساء يصفين لأشجار المطر" (١٩٨٢) فهو يدور في جانب منه في هونولولو وعلى وجه التحديد في مصحة للأمراض العقلية وهناك كذلك "انهضوا يا شباب العصر الجديد" (١٩٨٣) و"عضة فرس النهر" (١٩٨٥)، و"الحكاية العجيبة" ل. أ. م. والغاية" (١٩٨٦) و"رسائل لسنوات الحنين إلى الوطن" (١٩٨٧) و"الحياة - الأقارب" (١٩٨٩) و"حياة هادئة" (١٩٩٠) ورواية من روايات الخيال العلمي بعنوان "علاج البرج" (١٩٩١). أما آخر عمل عكف عليه أوى فهو ثلاثيته "الشجرة الخضراء الملتهبة". وكان قد أصدر مجلدين منها بالفعل لدى إعلان فوزه بجائزة نوبل هما "عندما هزم المخلص" (١٩٩٣) و"التذبذب". وما تزال الرواية الأخيرة في الثلاثية رهن الإصدار.

غير أن أعمال كينزابورو أوى لم تقتصر على الإصدارات الإبداعية وحدها، وإنما كانت له مساهمات متميزة في مجالات أخرى، فقد أصدر كتابا في الجغرافيا السياسية، كانت له اصداء بارزة، هو "مذكرات هيروشيما" (١٩٦٥) وفيه لا يتجلى اهتمام أوى بالطاقة النووية وقدرتها الرهيبة فحسب، وإنما يبرز كذلك ملامح اهتمامه الاستحواذي بالمعاناة والعذاب اللذين تعرض لهما أبناء هيروشيما نتيجة للقضاء القنبلة الذرية الأمريكية على مدينتهم، وهو موضوع ينثر اصداءا لشكل المشوه على امتداد جانب كبير من عالم أوى الروائي، وهناك أيضا كتاب "مذكرات أوكيناوا" (١٩٧٠) الذي يكشف التزام أوى على امتداد عمره، وفي مواجهة ضارية مع القوى الامبراطورية، بالحفاظ على الهامشي، على الريفي، على المعوق، المشوه، المختلف، والمغاير، أو كما يعبر ما سوسوشى في كتابه الشهير على ما هو بعيد عن موقع الوسط.

وكما تشير هذه الموضوعات، فإنه على الرغم من تأثر أوى العميق بالفلسفة الوجودية، وتحليلات خياله على نحو ما نرى في "مسألة شخصية" على سبيل المثال، إلى التردبات الجنسية المروعة على حافة الهوية الوجودية، فإن أعمال أوى تظل ضاربة الجذور بقوة



في مشكلات الرؤية الاخلاقية والحركة السياسية. أخيرا، وقبل أن أدع القارئ مع هذا الحوار الفريد، يهمني أن أشير في نهاية هذه المقدمة، التي أمل أن طولها النسبي لم يشتر ضيق القارئ العربي ولا شعوره بالضجر، إلى نقطتين محددتين:

× لقد كان أوى، رغم حبه الشديد لبلاده وتأكيد أنه لا يكتب إلا وعينه على القارئ الياباني وحده، هو الذي أكد في مقال شهير له على ما أسماه بـ "حق القطيعة مع اليابان" وهو حق يرى أنه من خلاله وحده يجتزع التواصل مع الإنسان الياباني البسيط، وبمعنى ما مع الإنسان في كل مكان. إنه يرفض اليابان الأخرى، اليابان الامبراطور، يابان ثقافة المركز، يابان قولبة الإنسان في اطار نشاط المؤسسات العملاقة وتقزيم الشر، من خلال تغريبهم، وسلب إبداعهم الإنساني؛ وذلك لحساب تحقق يابان أكثر إنسانية وصدقا مع النفس ومع الاخوين، كما يأمل الكاتب الياباني الفائز بجائزة نوبل.

× في مواجهة نزوع الكثير من كتاب العالم الثالث إلى الخروج من جهودهم، والانسلاخ من هذا العالم الذي ينتمون إليه، والرحيل بالروح والفكر والجسد أيضا إلى الغرب، وبالتحديد إلى أوروبا، فإن أوى كان هو الذي شدد على انتماء اليابان، رغم تقدمها الكبير، إلى العالم الثالث، وكتب في مقال يؤكد فيها على قوى الهامش، قوى الروح والطبيعة والميتولوجيا المحلية في مواجهة الهيمنة من الداخل والخارج، يعرف مهمته، باعتباره كاتباً يابانياً، بقوله: "إن مهمة الكاتب في اليابان هي أن يكتب كلماته واحدة إثر الأخرى، وفي ذهنه فكرة محددة عن إعادة الترتيب الشاملة للصيغة التوحيدية الثقافية في بلاده وفي غيرها من دول العالم".

وفي عصر تسوده اهتمامات عالمية، يعمد القوس تحت ظلاله إلى التخلي، ويتعمد الدولي في تضاعفه للجوء إلى البطش، وتتبنى الثقافة المحلية صيغة توحيدية ثقافية قوامها الريح المادي فإن قيمة كينزابورو أوى الحقيقية تكمن في أنه يرفع الصوت عالياً دفاعاً عن الهامشي، عن البعيد عن موقع الوسط، عن قوى الروح غير التقليدية الباحثة في لهفة عن تعبير عنها يتكافأ مع طاقاتها الهائلة المحزونة، سواء أعان هذا الهامشي في شيكوكو أو هيروشيما أو كوريا الجنوبية أو أوكيناوا



أو الصين أو النفس أو الأركان القصصية من عالمنا العربي الغارقة في التراب والتعاسة والرب.

الآن، نبدأ في قراءة الحوار:

* ستيف برادبوري: أود أن أطرح عليك سؤالين، من وحي كتاب ما ساد سيوشى الصادر مؤخرًا بعنوان "بعيدا عن موقع الوسط". فقد جعلك سيوشى على نحو ما بطل الصورة التي رسمها للأدب الياباني الحديث، وهو يذهب إلى القول بأنك واحد من قلة محدودة من الكتاب الجادين مازالت موجودة في اليابان، وتحظى بحماس واسع النطاق من الجمهور، ومن الأمور التي يقولها أنه منذ حوالي العام 1970 شهدت اليابان انتصار الثقافة السلعية والقومية القائمة على صرح المؤسسة، وفي خلال ذلك الوقت فإن الكتابات النقدية الجادة قد تعاوت على الطريق بشكل حقيقي، وحل محلها نوع من الممارسة الأدبية يكاد يتطابق مع النزعة الاستهلاكية، بل أنه يدرج قائمة بالكتاب الذين تنتقدهم بدورك بشدة، مثل هاروكي موراكابي وآخرين، واتساءل عما إذا كنت تشارك ميوشى رؤيته القائمة، فيما يتعلق بالكتابات اليابانية المعاصرة، حيث أنا يخيّل الي بعد الحديث معك أنك تبدو متفائلا إلى حد ما.

كينزابورو أوى: إنني أجد دراسة سيوشى حافلة بالمعلومات إلى حد بعيد، ولكن إذا شئنا الحديث بصرحة، فإنه لا يكاد يمكن القول عنى اليوم بأنني أحظى بحماس واسع النطاق من الجمهور. وعلى امتداد السنوات العشر الأخيرة قمت باصدار ما متوسطه كتاب واحد سنويا، وقد بيع من كل كتاب منها ما يتراوح بين ستين ألف نسخة. ومائة ألف نسخة ولكن قبل عشرين عاما كان يباع من كتبي مائة ألف نسخة على الأقل في الطبعة ذات الغلاف السميك وحدها على الدوام، حتى في حالة الكتب التي تضم مجموعات من مقالاتي. وقد شهد كل عام انخفاضا في المبيعات. وقبل عشر سنوات كانت تباع من الطبعة ذات الغلاف الورقي من كتاب جديد لي ملايين النسخ، أما الآن فإن عدد النسخ ذات الأغلفة الورقية التي يمكنني توقع بيعها أصبح صغيرا للغاية، أي تقريبا في حدود عدد نسخ الأغلفة السمكية، في معظم الحالات. ولكن المؤلفين الشبان، مثل ريدو موراكامي وهاروكي موراكامي ويوشيموتو بانانا يبيعون كتبهم بشكل جيد وخاصة في حالة الطبعة ذات الغلاف الورقي، ولا يمكن مقارنتي بهم. مازال لي بعض القراء، ولكن المستقبل الآن مظلم للغاية (قال العبارة الأخيرة ضاحكا).

هناك العديد من الكتاب الجادين في اليابان، مثل يوشيكنتشي فورد، ويوكو توشيجا، وماكونو أوكا، وتايكو كونو، وغيرهم. واعتقد أن عدد قرائهم يدور حول العشرين الفا، أو حتى أقل من ذلك.

* ستيف برادبوري: من الأمور المثيرة للاهتمام التي طرحها سيوشى إنه حتى على الرغم من أنك تشكل صوتا ناقدا بارزا، إلا أن شهرتك ذاتها قد دفعت باتجاه جعلك معزولا. وهو يحاجج بأنه كما في حالة معظم الأصوات التي ترتفع بالنقد في اليابان فإن صوتك عزله التوقيف والاجلال اللذان تحظى بهما، وكنتيجة لذلك فإن الناس يترددون كثيرا في الدخول في أي نقاش معك. وعلى أكثر من نحو فإن جوهر كتابه هو القول بأنه ليست هناك كتابه جديدة معارضة في اليابان اليوم. هل توافق على وجهة النظر هذه؟

كينزابورو أوى: (ضاحكا) اعتقد أن سيوشى كان شديد الكرم معي. نعم، إنني مؤلف معزول، وبصفة خاصة على الساحة الأدبية، وانني لأشعر بالعزلة الشديدة، ولكن سيوشى بالغ في اضعاف الطابع المثالي على موقفي، ولست أستطيع دعم وجهة نظره بقوة، فعلى سبيل المثال ليس بمقدوري العثور على أحد ينشر كتبي باستثناء دار شينغوشا.

* ستيف برادبوري: كانت اليابان شديدة العدوانية في غمار المنافسة على تصدير التكنولوجيا، كالسيارات، وأجهزة الفيديو وما إلى ذلك. هل تعتقد أنه سيأتي وقت تحاول فيه اليابان تصدير ثقافتها بالعدوانية ذاتها؟ وتبعبير آخر هل تعتقد أن الثقافة اليابانية ستصبح ذات يوم ثقافة عالمية وليست يابانية فقط؟

كوشى - شوسيتسو).

كينزابورو أوى: نعم، اعتقد أن سيوشى قد أصاب كبد الحقيقة. وعندما نقارن نوعية الشوسيتسو التي يتحدث ميوشى عنها، وعندما ننظر إليها من خلال معايير النقد الدولي أو الأوروبي، فإنها لا يمكن أن تصمد للنقد العالمي، فهي لا تضم عناصر الرواية المحقة. ولست أظن أن الشوسيتسو هي نوعية الخطاب الروائي الذي يحتل نقدا ثقيل العيار، وذلك لاعتبار محدد هو أنها لم يتم إخضاعها لتقديري متواصل في اليابان. وهناك اعتبار آخر هو أنها لم تلتق أي مداخلة نقدية قوية على الصعيد الدولي.

جويل كون: أعتقد أن سيوشى من شأنه أن يذهب إلى القول بأننا إذا نحينا جانبا الاهتمامات التقويمية، فإن الشوسيتسو تنتمي إلى نظام يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذي تنتمي إليه الرواية وبالتالي سيكون من المستحيل، بل ومن العبثي، أن نعقد مقارنة بينهما، بغض النظر عن أيهما قد تكون أفضل من الأخرى. ومن الجلي أنه بين أعمال الشوسيتسو فإن هناك أعمالا من نوعيات متباينة، ولكن النظر إليها من منظور نقدي يقوم على أساس فن الرواية الغربي سيثير عن طواعية ألوانا شتى من سوء الفهم.

كينزابورو أوى: اتفق معك في ذلك، فعلى سبيل المثال هناك من يقولون إن "حكاية جينجي" هي أول رواية في العالم. وأظن أن هذا القول غير دقيق. وقد يكون من الممكن القول إن الكوميديا الإلهية "لدانتي هي أول رواية عظيمة ومتكاملة وحقيقية من العالم، ولكن القول إن "حكاية جينجي" هي أول رواية في العالم هو خطأ. إن هناك خلافاً من حيث المفهوم بين "حكاية جينجي" وبين الرواية الأوروبية. وما يعترض عليه سيوشى هو أن الشوسيتسو اليابانية يتم تقويمها وفقاً لمعايير تباعدت عن الصرامة والتدقيق بصفة خاصة. وبمقدوري أن اتعاطف مع هذا. إن ما نحاول القيام به هو خلق فن رواي يمكن أن يطلق على ابداعاته وصف الروايات حتى إذا كانت تقاس بمعايير الروايات في أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا... الخ. واعتقد اليوم أن هناك أعدادا كبيرة من الشوسيتسو التي يمكن توصف بأنها روايات بالمعنى الدولي للكلمة.

عن مجلة نزوى 1996



موريفاجا أما الآن فإنني ألاحظ أنهم يتحدثون عن هؤلاء المثقفين الشبان، بل إن بعض هؤلاء الأمريكيين يمشون إلى اليابان ويقومون في المدن الصغيرة، حيث يعملون كناشطين في مجال الاتصال بهؤلاء المثقفين الشبان، وانني لشديد التأثر بنشاطهم.

جويل كون: لدق سؤال آخر فيما يتعلق بما ساو سيوشى، فهو قد قارن ما يعرف في اليابان بـ "شوسيتسو" بالرواية الغربية منذ بعض الوقت ووجد لكل منهما خصائص بالغة الاختلاف. فهل تجد أن هذه الخصائص مختلفة بدورك فيما يتعلق بالقراءة والتأليف (يلاحظ أن الشوسيتسو قد وصفها أوى على النحو التالي: "في اليابان هناك تقليد ياباني يعرف باسم "واتا كوشى- شوسيتسو" أو رواية الأنا التي تأثرت بالرواية الغربية. ونحن نكتب عن أنفسنا، عن كيف ننهض من نومنا، وتناول طعام إفطارنا وما إلى ذلك، وهذا هو الواتا

* ستيف برادبوري: في "هوية اليابان المزدوجة" ورطة كاتب. وهي ورقة ساهمت بها في مؤتمر تحدى ثقافة العالم الثالث في جامعة ديوك في العام 1986 ذهبت إلى القول بأن هوية اليابان المزدوجة قوامها ان اليابان دولة من دول العالم الثالث تخلت عن وضعيتها العالم ثالثة، وأن علاقتها بالعالم الثالث، وبخاصة جاراتها الآسيوية هي في حالة يرثى لها حقا. هل لاحظت أي تغيير في احساس اليابان بالهوية خلال السنوات التي انقضت منذ مؤتمر جامعة ديوك؟

كينزابورو أوى: بوسعي الاجابة بنعم ولا كليهما. لا، بمعنى أن من يسمون بالمثقفين اليابانيين لا يتغيرون أبداً، فهم على الدوام يفكرون من خلال أوروبا وأمريكا، وهكذا فإنهم لا يقيمون صرح نظرية خاصة بهم أبداً. ولست أدري السر في ذلك حقا. وإنني ليسوارني على الدوام شعور بأنه يتعين علي تغيير منظوري كلية، ولكنني حتى الآن لم أنجح في ذلك. واعتقد أن أمامي عشر سنوات حتى موتي، ككاتب (ضحك) وبالتالي فلدي شعور بالتعجل في إنجاز الأهداف التي تحدثت عنها في المؤتمر: "اختفاء الطابع النسبي" على هيمية الامبراطور على اليابان من خلال تصوير الاقاليم الهامشية في البلاد عبر "الواقعية الغرائبية".

هناك عدد من المثقفين اليابانيين الشبان، الذين لم يتسع نطاق شهرتهم للغاية، ولا يقوم أي منهم بالتدريس في الجامعات الكبرى، وهم يحاولون التعاون مع المثقفين والناشطين من الدول الآسيوية. وعلى سبيل المثال فقد أنجزوا كتابا عن "اليانفو" أو "المسريات" (آلاف النساء الكوريات والفتيات اللواتي كان يتم خطفهن بانتظام واستخدامهن كعاهرات من قبل العسكريين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية) يضم مساهمات من المثقفات الكوريات المتصديات لقيادة الحركة النسائية في بلادهن. وهم يؤلفون كذلك كتابا عن الاستغلال الياباني لمزارع الموز، وبالتدريج ومن خلال حركة على مستوى القاعدة تتصف بالشمول فإنهم يخلقون مناخا جديدا للحرية الأكاديمية. وقد التقيت في لوس انجلوس بالعديد من المثقفين والطلاب الأمريكيين الذين تواصلوا مع هذا الجيل الياباني من المثقفين الشبان. وقبل عشر سنوات، ولدي حوار مع خريجي الجامعات الأمريكيين كانوا يتحدثون على الدوام عن المثقفين العظام مثل ساساو مار وياما وسابورو

رحيل كنزابورو أوي.. الكتابة من أجل كرامة الانسان

علي حسين



بعد ساعات من سماعي خبر رحيل الكاتب الياباني الحائز على جائزة نوبل "كنزابورو أوي"، توفي في الثالث عشر من آذار عام ٢٠٢٣ - سارعت ابحت في معرض اربيل الدولي للكتاب عن واحدة من اعماله الادبية، وجدت روايته "الموت غرقا" في جناح شركة المطبوعات "بترجمة أسامة أسعد، وقررت ان امضي الليل مع بطلها، الكاتب الذائع الصيت "كوغيتو" الذي وجد نفسه يرغب بكتابة رواية عن حادث موت ابيه غرقا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث يقرر العودة الى قريته للحصول على صندوق يحوي وثائق متعلقة بابيه، وحادث موته غرقا، فباخذنا من خلال هذه الحكاية في اسئلة سياسية وفلسفية حول الازواج التي مرت ببلاده وعن ابيه وانتمائه الفكرية، ومن خلال الصندوق يكشف لنا كنزابورو أوي خفايا تلك المرحلة، ويثير عددا من التساؤلات عن حكاية الغريق والاسباب الذي دفعته للابحار بقاربه وسط فيضان كان يهدد القرية - اليابان - بالغرق، وهل استطاعت تضحية الأب ان ترأب الصدع في الحياة الاجتماعية التي تعيشها اليابان والتي وصفها في خطابه اثناء تسلمه جائزة نوبل لاداب عام ١٩٩٤ بانها بلاد "منقسمة بين قطبين متعارضين من الغموض"، التقليد والحداثة، عبادة الإمبراطور والديمقراطية، العدوان والمعاناة. مؤكدا ان هذا الانقسام أثر في كل جانب من جوانب حياته ككاتب "مثل ندبة عميقة"، ولهذا ظل يؤمن ان وظيفته ككاتب هي استخدام الادب للمساعدة في التام هذا الجرح. توصف "الموت غرقا" بانها سيرة ذاتية نجد فيها "كنزابورو أوي" يتوارى خلف قناع بطل الرواية. انها حكاية الطفل كنزابورو الذي فقد والده اثناء الحرب العالمية الثانية، والتي ستلاحقه لعنتها فينجب ابنا "معاق" بسبب اشعاعات القنبلة النووية التي اطلقتها امريكا على بلاده.

عندما قرأ هنري ميللر رواية كنزابورو أوي "الصرخة الصامتة" - ترجمها الى العربية سعدي يوسف - وصف أوي بدوستويفسكي اليابان، الكاتب الذي يتارجح بين نطاق الأمل والبأس، بينما أشار إدوارد سعيد، وقد ارتبط بصداقة مع كنزابورو أوي استمرت ٢٠ عاما، إلى "قوته غير العادية في التفاهم المتعاطف". فيما قال عنه الحائز على نوبل كازو إيشيغورو بأنه "متواضع، ومنفتح وصادق بشكل مذهش، وغير مهتم أبدا بالشهرة"، وكان الناقد الشهير هارولد بلوم قد اشار الى ان لغة كنزابورو تذكره بطريقة فوكنر الفذة في استخدام الكلمات.. لكن كاتبنا يصف نفسه بأنه: "آخر مؤلف يمارس أسلوب الكتابة القديم، الثقيل جدا، أو الصادق". يكتب الحائز على نوبل الصيني مويان عن الإلهام الذي منحنا إياه روايات كنزابورو الذي لم يسمح لروايته بأن تنهوى لتندرج تحت الأنماط التقليدية للروايات السياسية الضحلة "الصرخة الصامتة" يبدو تأثير سارتر والفلسفة الوجودية واضحا على كنزابورو، من خلال طرح موضوعه اليأس الوجودي الذي تعاني منه اليابان. تدور أحداث الرواية حول شقيقين يعودان من طوكيو الى قريتهما من اجل بيع منزل الأسرة، لكن هذا الحدث يضعهما في مواجهة مع تاريخ الأسرة. وصف أوي نفسه بأنه كان وجوديا متحمسا في فترة الشباب شارك في المظاهرات المناهضة للأسلحة النووية وكتب العديد من المقالات حول مواضيع نزع السلاح النووي وعسكرة المجتمع، قال انه لن ينسى مواقف سارتر من حرية الشعوب وصورة الفيلسوف الوجودي الشهير وهو يقود التظاهرات طلعت ترافقه، عندما سافر الى باريس كان اول عمل قام به اجراء مقابلة مع سارتر الذي يصفه بأنه: "كان شخصية رئيسية في حياتي، مثقف ساحر". ولد كنزابورو أوي في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٣٥ قرية بجزرية شيكوكو، تقع غرب اليابان، وهو الخامس من بين سبعة أطفال، علمته جدته الاصفاء الى الحكايات

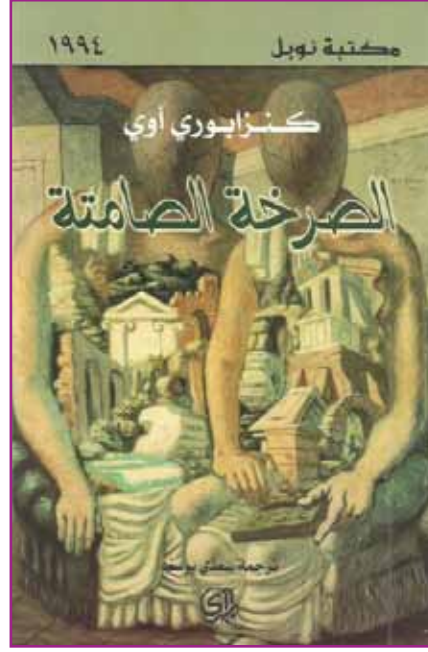
الشعبية، ولكنها رحلت وهو في التاسعة من عمره، بعد ذلك سيفقد والده في الحرب، أصبحت والدته هي المعلمة الأساسية له، يعترف بأنه لم يقرأ الكثير من الكتب قبل بلوغه التاسعة من عمره. "كنت مفتونا برواية حكايات جدتي. كانت تتحدث عن كل شيء تقريبا عن عائلتي ومنطقتي؛ لذلك كان ذلك كافيا بالنسبة لي. لم أكن بحاجة إلى أي كتب في ذلك الوقت". ذات يوم سيكتشف مارك توين عندما قايضت امه كيلو غرام من الرز بكتاب صغير عنوانه "مغامرات هاكليري فين"، لم يكن قد سمع باسم مارك توين من قبل إلا ان والدته قالت له: "هذه أفضل رواية يمكن أن يقرأها طفل"، لكن المرأة التي قايضت الكتاب بالارز حذرت امه قائلة: "انتبه هذا المؤلف أمريكي. الآن الحرب بين الولايات المتحدة واليابان مستمرة. سيأخذ المعلم الكتاب من ابنك"، اوصته الام: إذا سألك معلمك من هو المؤلف، فيجب أن تجيب بأن مارك توين هو الاسم المستعار لكاتب ألماني". نشأ على الاعتقاد بأن الإمبراطور كان إلها. يقول إنه غالبا ما كان يتخيله كطائر أبيض وقد صدم عندما اكتشف أنه كان مجرد رجل عادي له صوت حقيقي عندما سمعه يعلن استسلام اليابان على الراديو في عام ١٩٤٥. كان في الرابعة من عمره عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وكان لتداعياتها تأثير كبير عليه طوال حياته. نشأ وهو يدرس الحكايات الشعبية التي رويت لأجيال في قريته، انتقل إلى طوكيو في سن ١٨ عاما لدراسة الأدب الفرنسي ليتعرف على كتابات سارتر وكامو اللذين كانا موضوع اطروحة تخرجه. عام ١٩٥٧، عندما كان يبلغ من العمر ٢٢ عاما، نشر أربع قصص قصيرة، فازت إحداها بجائزة ادبية. قال إنه عندما كتب رواياته الأولى "اقتلعوا البراعم، اقتلعوا الأولاد" - ترجمها الى العربية ديمتري أفيريونس- كان يقرأ الأدب الفرنسي والإنكليزي لمدة ثماني ساعات في اليوم ثم يكتب باللغة اليابانية لمدة ساعتين. في الحوار الذي نشرته "باريس ريفيو"

أوضح: "من خلال القراءة باللغات الأجنبية ثم الكتابة باللغة اليابانية، أردت بناء جسر. لكن كتابتي أصبحت أكثر صعوبة"، في "اقتلعوا البراعم" يروي حكاية ١٥ مراهقا تم نقلهم من سجن الاصلاحية اثناء الحرب إلى قرية جبلية نائية، حيث يتعرضون للنبذ وسوء المعاملة والبغض من سكانها الذين فروا منها بعد انتشار الطاعون. وصفت الرواية بانها تحمل بصمة تشاؤمية واضحة. غيرت ولادة ابنه الأول في عام ١٩٦٣ حياته ومسيرته المهنية، حيث أنجبت زوجته، طفلا بجمجمة مشوهة، كانت ولادة هذا الطفل بمثابة الكابوس الذي ظل يراوده بسبب الحرب، فوجده يتحقق امامه بأحد اولاده، فالحرب لم تهدم المدن فقط، لكنها شوهت البشر، وقد قدر لهذا الطفل ان يغير حياة ابيه، وسنجد في مجموعة الروايات القصيرة التي ضمها كتاب "علمنا ان نتجاوز جنونا" - ترجمة كامل يوسف حسين - المعاناة التي يعيشها الانسان الياباني والصراع العميق بين انتمائه الى الماضي وانجرافه القسري الى الحاضر. وقد كتب في العام الذي شهد ولادة طفله المعاق رواية "مسألة شخصية" - ترجمة وديع سعادة - تناول فيها حياة طفل مختل المخ. بطل الرواية "بيرد" مثقف يعاني من زواج فاشل يحلم بالسفر الى افريقيا من اجل تغيير "يهدد بالقضاء على حلمه بالانعتاق من الماضي، يفكر بالخلاص من الطفل، لكنه يدرك أخيرا أنه يجب أن يتحمل مسؤوليته ويحتضنه. عندما منح جائزة نوبل لاداب اشارت الأكاديمية السويدية إلى "القوة الشعرية" لأعماله قائلة إنه "يخلق عالما متخيلا تتكشف فيه الحياة والأسطورة لتشكيل صورة مقلقة للمأزق الإنساني". كما اشار تقرير الأكاديمية إلى تأثير هزيمة اليابان على تطوره ككاتب. وان الإذلال سيطر عليه بشدة وأدى إلى تلوين الكثير من أعماله". ونجده يصف رواياته بأنها طريقة لطرد

الأرواح الشريرة. تعتبر أعماله المبكرة، التي كتبها أثناء دراسته للأدب الفرنسي في جامعة طوكيو، بمثابة كلاسيات تعبر عن خيبة الأمل التي شعر بها الشعب الياباني عند رؤية ما فعلته القيادة اليابانية بالبلاد. يقول عند كتابة رواية جديدة: "ينشغل بالي بأمرين فحسب، أولهما كيفية مواجهة العصر الذي أعيش فيها، وثانيهما كيفية ابتكار أسلوب لا يتسنى لغيري كتابته". يتذكر كيف كانوا في المدرسة الابتدائية يلقنون الطلاب بالطاعة المطلقة للإمبراطور الذي يجب أن يموت الشعب من أجله، وهو الامر الذي جعله في عداة مستمر مع السلطة المطلقة، الامر الذي جعله يرفض عام ١٩٩٤ تسلّم وسام الثقافة الياباني الذي يمنحه الإمبراطور، معلقا: "أنا لا أعترف بأية سلطة، لها قيمة أعلى من الديمقراطية". قبل اعوام قال ماسل الغارديان انه يتذكر دائما حوار دار بينه وبين أمه أثناء طفولته، حيث كان يشعر بالقلق من أن يموت جراء المرض، فقالت له أمه: لا تقلق، إذا مت، فستلدك أمك مرة أخرى... وسألني على مسامعك في طورك الجديد كل ما سبق أن سمعته، وما قلته، وما قرأته، بل كل ما فعلته منذ ولادتك الأولى، كما أنك ستعيد قول ما قلته الآن، ومن ثم، فالطفلان كلاهما متماثل تماما". في مقدمة مجموعة رواياته القصيرة "علمنا ان نتجاوز جنونا" يكتب الناقد والمترجم الأمريكي جون ناتان، ان القراء في اليابان ينظرون الى كنزابورو أوي كما لو كان ديوجين القرن الحادي والعشرين الذي يرفع مصباحه عاليا وسط مراكز تسوق اليابان المصممة وفق عمارة ما بعد الحداثة، بذكرته التي لا تريد ان تنسى ماضي الماضي المخيفة، وأفكاره الصلبة، وخياله الذي لا يعرف الحدود، ودفاعه المستميت عن الديمقراطية، وثقته المطلقة بنفسه واصراره على انه يركز في معظم كتاباته على الدفاع "عن كرامة الإنسان".

كنزابورو أوي.. روائي ياباني يجمع بين الكتابة الأدبية والشراسة

سعيد بوكرامي



تقدم الأعمال المترجمة للروائي الياباني كنزابورو أوي من اليابانية إلى اللغة الفرنسية الصادرة مؤخرًا خدمة أدبية جلييلة للقارئ عمومًا. فترجماتها رصينة وانتقاؤها دقيق، ترصد حياته وأدبه على مدار عقود عدة. ولا ينحصر اهتمام دور النشر العالمية بنشر أعماله فحسب، بل يأتي الاهتمام أيضًا من كونه شخصية ثقافية مثيرة للجدل في اليابان. فهو يحتل اليوم واجهة الإعلام الياباني بحكم معارضته الشرسة للاستخدامات النووية العسكرية والمدنية. ولد كنزابورو أوي في عام 1925م في قرية شيكوكو من مقاطعة إيهام باليابان، وحصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1994م، وهو واحد من الشخصيات الأكثر نشاطًا ثقافيًا وأدبيًا وسياسيًا. ألف كتابًا مؤلمًا عن هيروشيما، نشر في عام 1965م (أعيد إصداره مؤخرًا ضمن سلسلة كتاب الجيب)، وقد منحته الكارثة البيئية والإنسانية في فوكوشيما الفرصة لتوسيع نطاق هذا الالتزام برفض الطاقة النووية المدنية من دون التخلي عن إنعاش الذاكرة الجماعية، منبهاً إلى نتائج مأساة هيروشيما وناغازاكي، وفي هذا الصدد كتب كثيرًا من المقالات وأجرى عدداً من المقابلات، كما التمس من رئيس الوزراء التخلي عن الطاقة النووية وجمع أكثر من سبعة ملايين توقيع تؤيد موقفه. أعمال هذا الكاتب الكبير المترجمة إلى العربية، للأسف قليلة. لا تقدم الكاتبة بصورة واضحة وشاملة للقارئ العربي، ولا أعلم سبب تهرب المترجمين من أعماله على الرغم من أنها أكثر أدبية وعالمية من أعمال غيره من الروائيين اليابانيين، خصوصاً الشباب. من رواياته التي ترجمت إلى العربية: "علمنا أن نتجاوز جنوننا" (دار الآداب) بترجمة كامل يوسف حسين، و"مسألة شخصية" (مؤسسة الأبحاث العربية) ترجمة وديع سعادة، و"الصرخة الصامتة" (دار المدى) ترجمة سعدي يوسف.

سيكون نشاطي الفكري طبيعي إلى حد ما. من يومين أدرجت أنني لم أمارس رياضة الجري منذ عام. لهذا ارتديت بذلة رياضية وركضت لمدة عشر دقائق. عندما نركض، هناك لحظة ترتفع فيها، وأنا أحب هذه اللحظة القصيرة جداً التي ترتفع فيها عن سطح الأرض. لقد أدرجت أنه حتى في سن متقدمة، يمكن أن نركض. وهذا منحني شعوراً بالفرح والوضوح في حياتي. الإنسان هو ذلك الشخص الذي يسمو عن سطح الأرض. وبهذه الطريقة عدت مرة أخرى بشرياً.

علاقتنا. لقد عشت وأنا لا أفعل شيئاً غير الكتابة، فتمكنت من أن أذهب إلى الجامعات، وتقديم المحاضرات. عشت حياة أخرى غير حياة المدرس. من خلال كل ذلك، تحدثت أيضاً عن قرينتي وطفولتي. أعتقد أن هذا هو أيضاً السبب في أن بعض القراء يبدون اهتماماً بكتاباتي.

بضمير المتكلم وشخصيتها الأساسية هي تخص الكاتب الذي يعيش عادة في طوكيو، ليست سيرة ذاتية. في هذا النوع من الرواية اليابانية، تروى بالأحرى تفاصيل الحياة.

- أرنو فولران: لكنك لا تنتمي إلى هذه المدرسة.

■ كنزابورو أوي: لم أكن أنوي أن أكتب رواية بضمير المتكلم؛ لأن عملي يستند إلى نقد هذا النوع من الرواية. على سبيل المثال، ناويا شيفا [1883-1971م] أصبح معروفاً ونال التقدير لأنه كتب بضمير المتكلم. عندما نقرأ رواياته، نكتشف أخيراً الصورة الشخصية الحقيقية للكاتب. إن الذين اشتغلوا على هذا النوع من الرواية يعطوننا انطباعاً بأنهم يقومون بالتقاط صور عن حياتهم وتحويلها إلى كلمات. لكن في وقت ما بعد الحرب حاول الكتاب أن يجدوا ويحللوا الإنسان الذي يكتب للمتعمق في أين يمكن أن نذهب بالتفكير في كيفية حياته وموته، وهذا ما حاولت أن أقوم به. انطلاقاً من قراءتي للأدب الأوربي، بدا من المهم تطوير الكتابة للنظر إلى العالم بطريقة أكثر شمولية واتساعاً. لقد بدأت بكتابة قصص قصيرة حول موضوعات أصيلة. ثم ولد هيكاري بإعاقه [ولد الطفل الأول لـ كنزابورو أوي في 1963م بإعاقه ذهنية] فغيرت تماماً مشروعي. فقلت في نفسي: "ستكون حياتي معه هي موضوع كتابتي". هذا الوضع الأصيل الذي بحثت عنه في قصصتي وجدته في حياتي الخاصة. وهذا ما سمح لي حقيقة بأن أكتب عندما قررت صراحة زوجتي القبول والعيش رفقاً هذا الطفل. وهكذا قبلت ككاتب وسررتي كذلك أن المختارات من أعمالتي اتخذت سمة التاريخ للكتاب والإنسان.

- أرنو فولران: لكن، على كل حال، هل أنت سعيد؟

■ كنزابورو أوي: لو قيل لي: إن هذا المصير جيد لي، سأرغب دائماً في أن أقول: لا. أشعر ببعض الأشياء. الآن عمر هيكاري 53 عاماً (يعمل مؤلفاً للموسيقى، وقد عزفت سيمفونيته في ألمانيا منذ شهر - المترجم). منذ ثلاث سنوات، وأنا أشعر أنه أصبح أكثر قتامة. من قبل كان يتحدث طوال اليوم كطائر. وكان مثل الطفل يستمتع بأسرار البقطة، وأعتقد أنه في يوم من الأيام سيموت مبكراً أو عاجزاً، لكنه سيموت بروح طفل. وأظن إلى جانب هذه الحياة السعيدة رغم كل شيء، عشت حياتي مع تجارب صعبة، لحظات مفاجئة؛ لذلك بدأت الكتابة عن هذه الحياة في رواياتي، فمن الواضح أنني أقدم تجارب حياة ليست دائماً مرحلة. هناك دائماً في معظم رواياتي شكل من أشكال الفكاهة وهي تأتي من هيكاري، ومن

- أرنو فولران: كنت في الثانية والعشرين عندما نشرت عملاً غريباً؛ هل كنت تشعر أنك كاتب؟

■ كنزابورو أوي: لا. كنت أقرأ كثيراً من الروايات، كنت قادماً من القرية أشبه شاباً بين الأطفال. توفي والدي مبكراً جداً [في عام 1944م، وربما بسبب نوبة قلبية]. لكنني لم أكن على علاقة بكبار القرية، كما لم أشعر بأنني أتنتمي إلى دائرة الأطفال. كنت أقرأ فقط. ثم جئت للدراسة في طوكيو، التقيت كازو واتانابي، وهو مدرس، خبير ومترجم رصين لرأبليه. إذا كنا نتحدث عن الالتزام تجاه المجتمع الذي نعيش فيه، فمن شأن العمل بالكتابة أن يدفعك بالضرورة إلى التساؤل عن اليابان، والتساؤل أيضاً عما إذا كنت عارضاً، عوضاً عن أن تكون ملتزماً، ثم شعرت أن الأدب الذي كنت أكتبه لا يمكن أن يكون محدوداً، وأنه يجب أن يفتح على اليابان وآسيا.

- أرنو فولران: في هذه المختارات نجد المجموعة القصص "سبعة عشر" التي لم يسبق نشرها في فرنسا، تحكي قصة مراهق ممزق بين دوافعه الغريزية والسياسية والوجودية. كانت هذه المجموعة القصصية التي تتكون من 90 صفحة مثيرة للجدل في الستينيات؛ ما مكانتها بين منجزاتك؟

■ كنزابورو أوي: إنها عمل مهم لي؛ لأن الأمر يتعلق بشباب يعيش في المجتمع المدني الياباني. احتلت هذه الشخصية العادية التي قامت بعمل إرهابي مكانة مهمة في تفكيري. بكتابة هذه القصة، بدأ شيء ما يتغير بداخلي، إنها نقطة البداية.

- أرنو فولران: في "نشيد الذكرى" القصيدة الجميلة، تكتب "ما زلت لا أعرف ماذا سأقول للشباب الذي كنته" تشعر بكثير من الغش في هذه الجملة.

■ كنزابورو أوي: تحدثت للتو عن الانفتاح على العالم، لكن كتابتي لا تزال في إطار محدود، عن أب وحياته مع ابنه في طوكيو. أكتب وفي ذهني تصور كي أكون موضع تقدير أو فهم في الخارج. إنه لمن دواعي سروري أن أقرأ وأترجم، لكن هذا لن يملاً حياة أو يجعلني أفكر في أنني سأموت مرتاح البال. أعتقد أنني سأعيش خمس سنوات أخرى ولمدة سنتين أو ثلاث سنوات أخرى

- أرنو فولران: أنت معارض للنظام الإمبراطوري منذ وقت طويل. ومع ذلك، عبرت عن رضاك من دعوة السلام المعروضة من الإمبراطور أكيهيتو، في ذكرى انتهاء الحرب العالمية الثانية؟

■ كنزابورو أوي: عندما كنت طفلاً، كل صباح في المدرسة، كنا نسجد في الهيكل للإله الإمبراطور. هل كنت أومن بذلك؟ لا أعرف. على كل حال، كان لدي انطباع أنني أعرف، أن هناك شخصاً مقدساً فوق الجميع. لم أفكر قط في أن نعطي قيمة لما يقوله الإمبراطور، أو النظر فيما إذا كان جيداً أم لا. الإمبراطور الإله صاحب السلطة المطلقة تركناه خلفنا جميعاً، لقد انتهى في عام 1945م. وتوفي، ولم يعد إلهاً. عشت على عدم الاهتمام بما يمكن أن يفكر فيه الإمبراطور. وأياً كان النظام الإمبراطوري، لا بد من إنزالته من الدستور. أنا أنتقد بشدة حكومة شينزو أبي الذي ينيو تغيير الدستور، وألا يبقى البلد مسالماً لا يستخدم الحرب كأداة ضد بلدان أجنبية.

- أرنو فولران: هل ستصبح اليابان "دولة طبيعية" وفقاً للرغبة التي عبّر عنها شينزو أبي؟

■ كنزابورو أوي: بالفعل تملك اليابان جيشاً يسمى قوات الدفاع الذاتي، وهناك جيش أميركي لديه قنبلة نووية مزروعة في اليابان. ويبدو هذان الأمران مخالفين للدستور. إذا أسي، أو رئيس الوزراء المقبل، تمكن من تعديل الدستور بموافقة الشعب، سيكون من السهل جداً تحويل جيش قوات الدفاع الذاتي الحقيقي وأن يصبح لليابان سلاح نووي على الفور. في كوريا، هناك نقاش حول هذا الموضوع، وبطبيعة الحال، أنا أعارض. يمكن أن تصبح المنطقة قريباً مكاناً لحرب نووية. إذا تغير الدستور، لن نكون في عالم يمكن أن نحقق فيه السلام. ستكون هذه هي نهاية اليابان إذا كان هناك استفتاء، وقرر الشعب الياباني دعم مواقف "أبي". وأنا على استعداد للنزول كل يوم إلى الشوارع لمعارضة ذلك.

× عن مجلة الفيصل 2017

كنزابورو أوي الروائي الذي كسرته هيروشيما وأعاقت ابنه

عبد وازن

77

رحل الروائي الياباني الكبير كنزابورو أوي عن ٨٨ سنة، الروائي المتفرد بوجه ولغته الجديدة وشخصيته ومواقفه السياسية والتزامه حقوق الإنسان، وارث الروائيين الرواد الذين سبقوه وفي طليعتهم تانيزاكي وكواباتا وميشيما، والمنتمي إلى جيل أدبي بارز في مسار الأدب الياباني الحديث هو "الجيل الضائع" كما يسمى، جيل ما بعد الحرب أو ما بعد الهزيمة، الذي عانى، كما الشعب كله، من ويلات هيروشيما وآثار الهزيمة اليابانية التي أعلنتها الإمبراطور بنفسه غداة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

66

عندما اعتلى أوي منصة الأكاديمية السويدية ليتسلم جائزة نوبل التي فاز بها عام ١٩٩٣، انتقد حال "التغرب" في بلاده التي اعتمدت بسرعة أساليب الحياة الغربية التي حلت بعد الحرب الثانية. وكان مثله مثل بعض الروائيين والشعراء اليابانيين، يخشون حال الانفتاح الياباني السريع والسطحي على تقاليد الغرب المعاصر، متخفين هويتهم الضاربة الجذور في تراث عريق. لكن أوي لم يكن محافظاً تقليدياً، فهو درس اللغة الفرنسية ورافق الثورات الأدبية الجديدة في العالم وتأثر بالأدب الفرنسي الكلاسيكي والحديث، وتحدث مرات عن شغفه بذلك الأدب ورواده بدءاً بفولتير وباسكال وانتهاء برائد الوجودية جان بول سارتر. ظل أوي يابانياً ولم ينحز مثل الروائيين الجدد إلى الثقافة الغربية، كما فعل مثلاً هاروكي موركامي الذي حظي بشهرة كبيرة في اليابان والعالم. وكان أوي الروائي الملتزم، قام خلال سنواته الأخيرة، بحملة شرسة ضد سباق التسليح النووي هو المناضل من أجل حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، ورفض "وسام الثقافة الياباني" عام ١٩٩٤، وأوضح رفضه بالقول: "لن أتعرف بأي سلطة أو قيمة أعلى من الديمقراطية".

كينزابورو أوي من الإعاقة التي أصابت وليده وحلت عليه كاللعنة القدرية، وظل طيف ابنه المعوق يطارده منذ أن ولد وربما قبل أن يولد، وحتى بدايات خريف عمر الأب، وكان الطفل المعوق بمثابة الامتحان العسير الذي لم يستطع أوي أن يتجاوزه، فاستسلم للباس موقنا كل اليقين أنه هو نفسه واحد من المعوقين والمشوهين. لكن الابن الذي يحضر في أكثر من رواية بات أقرب إلى الرمز الذي يشي بالإنسان الحديث وشأينته بالحضارة الحديثة واليابان الحديثة أيضاً، اليابان التي فقدت ماضيها وأصالتها ولم تعد تلك الأرض الأزيية كما تخيلها الروائي الياباني ميشيما الذي قضى انتحاراً، ولم يكن من المستغرب أن يصحب أدب أوي بالجنون والهذيان والشر والموت واليأس، وأن تمنع شخصياته في مواقفها السلبية من الحياة والعالم والتاريخ والعائلة وسائر القيم التي شهد الكاتب موتها.

لم يتوان أوي عن نسج الجو الطفولي القاتم والسوداوي الذي عاش فيه ابنه، عامداً إلى استعادة جزء من طفولته القاسية والمقفرة في قريته النائية، بغية مواجهة الآثار التي تركتها في سيرته غربته المدنية وقسوة المجتمع الحديث والهزائم والخيبات الكثيرة التي منى بها. ويعترف هو شخصياً بالصدمة التي أحس بها في طوكيو إذ يقول: "حينما استقررت في طوكيو شعرت أنني انحرفت عن حياتي الحقيقية وأني صرت مجنوناً،



إنها سيرة ذاتية ولكنها مبعثة وناقصة بل ومختلقة ومتخيلة تهيمن عليها الغريزة وليس العقل والكايبوس ولا الحلم، و"بيرد" في الرواية مدرس ومثقف كان يحلم بالسفر إلى أفريقيا حين وافاه الخبر الأليم ومفاده أن زوجته وضعت طفلاً معوقاً.

تبدأ الرواية في لقطة جميلة، ف"بيرد" يتنهد أمام خريطة القارة الأفريقية في أحد مكاتب السفر وكان جاء يسأل عن سعر البطاقة التي تخوله تحقيق حلمه القديم الذي لن يتحقق إلا في ختام الرواية، ولكن عبر عيني المغمضين حين راح يتأمل السفينة التي أنجرت نحو زنجبار حاملة عشيقته "إيميكو"، وبين الخريطة التي تأملها في مفتتح الرواية وبين صورته التي رآها في عيني طفله، في مرآة تينك العينين يلقي "بيرد" نفسه غامضاً إلى حد أنه لم يعرف نفسه، ولعل ما حدث بين نينك الزمنيين، أي بين مستهل الرواية وختامها، يسهل اختصاره، فيجد "بيرد" نفسه متردداً وضائعاً بعدما أنجبت زوجته الطفل المعوق أو المسخ الذي يحمل كما قال الطبيب فتقاً في دماغه. كان عليه أن يغامر سعيًا وراء حلمه، لكن ولادة الطفل معوقاً جالت دون المغامرة، إلا أنه يصر على تحقيق حلمه محاولاً قتل الطفل ومتعاوناً مع الطبيب الذي يقترح خطة سرية تقضي بإضفاء الماء على الحليب الذي يغتذي الطفل به.

لبست الأحداث هي المهمة في الرواية وإنما الجو الذي نسجه أوي وشأه حافلاً بالارهاصات والكوابيس والمغامرات الصغيرة الجنونة والخطرة، فلقد جعل البطلين (بيرد وعشيقتة) مثقفين وغير عاديين، فالعشيقة المتحررة كل التجرد والقادرة على استيعاب القتل تحقيقاً للحلم تحب مثلاً ولجيم بليك وكانت أعدت عنه أطروحة جامعية، أما الوالد الشقي والحالم فلن يتمالك إبراز ثقافته الفرنسية خصوصاً حين يشبه رأس ابنه المضمند برأس الشاعر الفرنسي أبولينير في إحدى صورته الشهيرة، فهل كان أوي يتمنى أن يموت ابنه عوض أن يولد معوقاً؟ ألم يدفع هو ببطله إلى تلك المواقف المضطربة والمضطربة ليعبر عما اعتمل في دخيلته من دون أن يفصح عنه أو من دون أن يجسر على الإفصاح عنه؟

لكن البطل لن يلبث أن يصحو من هذيانه فيسترجع ابنه المعوق ويعود لعائلته عودة الابن الضال، من غير أن تغيب العشيقة من ذاكرته.

إنه قرين الكاتب أو شبيهه، ألم يقل أوي يوماً إن ابنه هو الشخص الأهم في العالم؟ ولم تكن الكتابة في نظر أوي إلا محاولة للإجابة على سؤالين طرحهما معا، ماذا نستطيع أن أفعل لابني، وماذا نستطيع أن نفعل لمستقبل كوكبنا؟

يستحضر أوي شخصية الابن المعوق في روايات أخرى ومن أبرزها الرواية القصيرة التي صدرت عن دار

الأداب تحت عنوان "علمنا أن نتجاوز جنوننا"، لكن أوي يختلق هنا بطلاً مختلفاً تماماً عن الأب "بيرد" في الرواية السابقة، ويختار له كنية لا اسماً، فهو "البدن" المتأرجح بين والد مجنون وولد معوق، أي بين ماضٍ سلبي وحاضر أو مستقبل لا يقل سلبيته عنه، و"البدن" هو بدوره كاتب يشرع في كتابة سيرة والده انطلاقاً من بيان أمه، وكان والده أمضى أيامه الأخيرة وحيداً منقطعاً إلى نفسه وصامتاً ومتأملاً، والأم التي اتهمت الوالد بالجنون حين استغربت عزله وصمته، لن تلبث أن تتهم ابنها "البدن" بالجنون أيضاً رافضة تسليمه ما تخفي من مخطوطات ومذكرات.

وفي حين يغرق "البدن" في كتابته سيرة أبيه يجد نفسه فجأة أمام وليده المعوق، فينقطع عن أبيه الذي يجله ليُدخل زمن ابنه المجهول بدوره، وهو الذي حاول إحياء صورة والده ليتعرف من خلاله إلى ماضيه، ويحاول أن يحيي حاضر والده المعوق ليتعرف من خلاله إلى حاضره هو، وفي الختام يدرك "البدن" أن ما من جدوى لكتابة سيرة أبيه بعدما فقد علاقته بابنه، فيحرق الأوراق التي ضمت كل ما كتبه عن أبيه وحينذاك يعلم زوجته أنه لم يعد يعارض إيداع ابنه في معهد للأطفال المعوقين.

أما رواية "الموت غرقاً" فتدور أحداثها في جو يجمع بين الأسطورة والفانتازيا والتاريخ والسيرة الذاتية، وهذه الرواية التي يرجح أن تكون آخر رواية لصاحبها المولود عام ١٩٣٥ فتسعى إلى استكشاف الأعماق المضطربة الكامنة في الروح الإنسانية الفردية والجماعية، إنها أشبه برواية داخل رواية، فالبطل كوغيتو شوكو روائي يصاب بحال من الاضطراب جراء السر الذي اكتشف موت أبيه غرقاً، ويعجز عن إكمال رواية كان بدأها وتدور حول هذا السر الذي يخفيه الصندوق الأحمر ومحتوياته، ومن دون هذا الصندوق الذي يحفظ السر لن يتمكن من أن يتحرر من عقدة الذنب التي تسيطر عليه وتجعله يشعر أنه تهرب من إيقاظ أبيه، والمفارقة تكمن في أن الصندوق الأحمر كان بحوزة أمه التي أصرت على حجبه عنه حتى بعد رحيلها لئلا يتسبب في إحداث فضيحة غير متوقعة، ولعل حال الاضطراب هذه تجعل شوكو عاجزاً عن وضع حد فاصل بين ذكرياته وتخيلاته وأحلامه، فهو لا يعرف أين تبدأ الحقيقة وأين يبدأ الحلم، ويجعل الدور الذي يؤديه الذنب في طمس الذكريات، وقد حاول شوكو اكتشاف السبب الذي دفع والده إلى الإبحار بقاربه في النهر وسط الفيضان الجارف الذي كان يهدد القرية كلها بالغرق، وفشل في اكتشاف السبب.

ويبرز هنا سر آخر وهو سر "مخطط" الثورة الذي ترد على مسامعه ويهدف إلى شن هجوم على الإمبراطور ميكادو، ولعل المفاجئ في هذه الرواية القائمة على لعبة السر داخل السر والمسكونة بمسائل الفن وقضايا الأمل والموت هو استعانة الروائي بأسماء غريبة داخل السياق السردي مثل الشاعر تي إس إليوت والموسيقار بيتوفن والمفكر الفيلسوف إدوارد سعيد والباحث في الميتولوجيا جيمس فريزر صاحب موسوعة "الغصن الذهبي"، أما شخصيات الرواية فهم "شيكو" و"التشيقة أسا" و"الوالدة والوالد"، وقد نجح أوي في سبك أحداث الرواية ووقائعها وشخصياتها في سياق قائم على تقنية الرواية داخل الرواية.

وفي مختصر سيرة أوي أنه ولد في جزيرة شيكوكو غرب اليابان، واتسمت سنوات شبابه بأثار الحرب مع هيمنة الدعاية العسكرية على أيام دراسته، وشكلت هزيمة اليابان عام ١٩٤٥ بعد إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما وناغازاكي صدمة له.

ترك أوي قريته ليدرس الأدب الفرنسي في جامعة طوكيو وانغمس في الفلسفة الوجودية والفلسفة الإنسانية في عصر النهضة وبدأ كتابة الروايات عندما كان طالباً، وفي عام ١٩٥٨ فاز بجائزة "أكوناغاوا" اليابانية المرموقة للكتاب الشباب، وفي العام نفسه نشر روايته الأولى، وفي عام ١٩٦٣ انقلبت حياة أوي الشخصية رأساً على عقب مع ولادة ابنه هيكارو الذي يعاني إعاقات ذهنية، ثم نشر سلسلة من الروايات المستوحاة من وضعه العائلي، وأثارت موافقه الرفضة والمتمردة غضب القوميين اليابانيين، وتعرض للتهديد والاعتداء في الستينيات بسبب رواية حول إرهابي مراهق من اليمين المتطرف عن الاندبندت عربية



manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

عزى ريم

علي

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام
والثقافة والفنون

كينزابورو أوي: نهاية ثأر شخصي مع الموت

عائشة بلحاج



”

ولد هيراكي أوي عام ١٩٦٣ بفتق دماغي. وظل بعض الوقت معلّقاً بين الحياة والموت، حاملاً ظلّ حياة تعيسة لأبويه، اللذين سيكون عليهما رعايته إلى آخر حياته، هو الذي قال الأطباء إنه أقرب إلى شكل نباتي منه إلى إنسان. استغرق هيراكي بعض الوقت ليستحقّ الحقّ في الحياة، في نظر والده، ويفرض وجوده. هذا الحيز الزماني الصعب، كتبه الأب وأعاد كتابته بأشكال مختلفة، في رواياته وكتبه. لتشكل هذه التجربة الأسطورة الشخصية للروائي الياباني كينزابورو أوي، الذي رحل قبل أيام، بعد عطاء مذهل للأدب، جعل فيه من مأساة ابنه محوراً أساسياً لكتبه التي تبحث في جوهر الإنسان وحقيقته. انطلاقاً من روايته "مسألة شخصية"، التي كتبها عام ١٩٦٤، بعد عام من ولادة هيراكي، وقد خصّصها كاملة للحظة معرفة طبيعة الولد الذي رُزق به. ومروراً بروايته الأشهر "الصرخة الصامتة" التي منحتها جائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٥.

”

في كتاباته عن مأساته الأبوية، لا يتخذ كينزابورو مظهر محلّ نفسي، ولا تملؤه العواطف الجياشة التي تغمر قارئه بالأسى فقط. بل تشعر، أنت القارئ، أنه يهزّب منها، فكم من حاجة قصبناها بإهمالها. في رواية "مسألة شخصية" (أو "هموم شخصية" في ترجمة أخرى)، ينتقل الأب الجديد (بيرد) من العيادة إلى مكتب حميه، إلى المستشفى، إلى بيت صديقه ليشرّب وينسى، مستسلماً لقدره. إذ لا فائدة من التذكّر، ولا حلّ للأزمة، بل إن أفضل ما يمكن هو تفادي مواجهة، والهروب من الهواجس، فيضع نفسه رهن تيار اللحظة، مُنكراً مشاعره تجاه زوجته، أو طفله "ذلك الشكل النباتي" كما وصفه أحد الأطباء.

يُذكرنا أوي في هذه الرواية بـ "الغريب" لكامو، حيث لا سبب منطقياً لوقوع الأشياء، ولا مفرّ منها، فليس هناك سوى نداء حارّ للموت، ليخلص النبات والديها. وهو شعورٌ معاكس للطبيعي، حيث يتمنى الوالد أن يعيش أبناؤه أبد الدهر. لكنّه ولد غير "طبيعي"، ولن تنشأ في وجوده إلا مشاعر غير طبيعية. أراد الأب أن يقتل ابنه، كما كاد يقتل نفسه في "الصرخة الصامتة". كأنه لم يجد حليفاً للنجاة مما حلّ به من بلاء، سوى الموت. لكن الموت هنا غير معنيّ بهذا الحلف، فتجاهله، لينشأ ما يمكن وصفه بالتأثر بين الموت والأب.

ولكن على عكس كامو، لم يغيب أوي السبب الحقيقي للحادث الذي قلب حياته، وهو الكارثة النووية التي أصابت بلاده. حتى وهو منشغل بمصيبته الخاصة، مكرراً للأخريين أنه غير معنيّ بارتساء العالم في حضن الأسلحة النووية. لكنّه كان يبعث في القارئ قلقاً متنامياً، وهو الذي يعرف أن القنبلة النووية التي

بعداً ملحمياً أكثر، فبدل أن يسعى إلى موت ابنه، قرّر الانتحار. وهو هروب آخر يراه أنسب، بعد أن عاد إلى بيته، بـ "الشكل النباتي"، الذي اتخذ مكانه في البيت، فرداً في عائلته الصغيرة، فلا يتوقّف عن تحيّل انتحاره. لكن الفكرة ظلت هاجساً طارده كل يوم، من دون أن يجد له مكاناً في التنفيذ.

من الممكن أن نقول عن الاتجاه الذي بدأه كينزابورو في الأدب إنه أدب المأزق الإنساني. وطالما لا تتوقف الحياة عن وضع الإنسان في المأزق، أو لا يتوقف هو عن وضع نفسه والأخريين في مأزق، سيساعده الأدب في الفهم، والسفر في اللحظة الواحدة، وكشفها وتفسيرها، لعله يفهم شيئاً مما يحدث حوله، وما فعله بنفسه.

عن العربي الجديد

أخضعت اليابان في الحرب العالمية الثانية هي ما أدّى إلى تشوّهات الأجنة، كما حدث معه، ويُذكره باستمرار بأن مصائبنا الفردية جزء من مصيبة كبرى وعمامة. المؤلم في روايتي "مسألة شخصية" و"الصرخة الصامتة" ليس شرح الألم، بل الهروب منه وتفاديه، والدخول في حالة إنكار. لكن كينزابورو لم يفرّ في الواقع، بل كتب روايتين هائلتين عن مصيبته. ماذا يقصد بذلك؟ هل هو العزاء؟ أن يقدم للعالم لحة من الحياة مع أثار الهوس الأعمى بالأسلحة النووية؟ وربما أراد فقط أن يمنح صمته شرعية، بأن يشرح لمن حوله إنه لم يهرب، فها هو الألم يجري على مئات الصفحات، شاهداً على احتراقه الداخلي.

كينزابورو أوي.. غياب "قلم اليابان" المسالم بزمان الخزي والنووي

أحمد عقل

رحل الروائي الياباني، كينزابورو أوي، الذي شارك في صياغة هوية اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، وحاز شهرة عالمية بعد فوزه بجائزة نوبل للأدب، عن ٨٨ عاماً، الإثنين.

وحقق كينزابورو أوي لبلاده ثاني جوائز نوبل في الأدب من خلال كتب تتحدث عن السلمية، وعن ابنه المعاق، وقد استغل شهرته للاحتجاج على الأسلحة والطاقة النووية، بحسب رويترز.

وقالت دار النشر كودانشا، التي كانت تصدر كتب أوي، إنه توفي في الثالث عشر من مارس الحالي عن ٨٨ عاماً بسبب التقدم في السن.

وكان أوي يبلغ عشر سنوات فقط حين هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية. وكانت ذكرياته عن الحرب مصدر شقاء وألم له، ومن بينها ذكرياته عن سؤاله يومياً بالمدرسة عما إذا كان مستعداً للتضحية بحياته من أجل الإمبراطور، وشعوره بالخزي قبل نومه ليلاً عند إدراكه أنه ليس مستعداً لذلك.

وكتب أوي عن القصص المروعة التي صاحبت قصف هيروشيما بالقنبلة النووية، وروى كيف كانت الصدمة التي انتابته بعد ما سمعه عن تلك الأحداث، التي أصبحت مصدر إلهام له ليصبح كاتباً.

ولم يكن أوي يخشى أبداً محاسبة بلده، وكان لاذعاً في انتقاداته لجهود رئيس الحكومة السابق، شينزو أبي، لإعادة النظر في دستور اليابان السلمي.

وقال في مقابلة أجريت عام ٢٠١٤ إن اليابان تحملت "بعض" المسؤولية في اندلاع الحرب.

وعن أهمية أن يدعو الكاتب إلى السلمية ونبذ الحرب والعنف، تقول الروائية والأكاديمية، مها جرجور، إن "الدعوة إلى السلم ونبذ العنف دائماً هما من أهداف الكتابة".

وتوضح في حديثها "أن الأديب يعمل على ذلك بأشكال مختلفة، مقدماً صوت من لا صوت له، ويبين الألم المشترك والمعاناة المشتركة لجميع الأطراف المشاركة في الحروب".

ونكرت صحيفة "إيكونوميست" في تقرير مطول أن الروائي الراحل "كان هادئاً ومحباً للكتب وأكثر مسالمة من الحكومات المسالمة التي حكمت اليابان منذ انتهاء الاحتلال الأمريكي في عام ١٩٥٢. لقد كره الحرب، وحث على توثيق العلاقات بين اليابان والجزيرين الذين غزتهم ذات مرة".

ولفتت إلى أن "الرواية الأولى لأوي واسمها The Catch، نُشرت عندما كان عمره ٢٢ عاماً فقط. وهي تحكي عن العلاقة الغريبة بين صبيين صغيرين وطيّار أميركي أسير في جزيرة شيكوكو، حيث نشأ أوي. وقد فازت بأكبر جائزة يابانية لروائي صاعد وأطلقت مسيرته المهنية".

وأضافت أنه "كتب بشكل مؤثر عن القصف النووي على هيروشيما، الذي ظهر وميضه من منزل طفولته (..) وأجرى مقابلات مع العديد من الناجين في عام ١٩٦٣ من أجل كتابة ملاحظات هيروشيما (Hiroshima Notes)، وهو كتاب لاذع ينتقد الأسلحة النووية".

وعن التأثير الذي يمكن أن يتركه الكاتب بعد رحيله، تقول جرجور "ترتبط نسبة التأثير بنسبة القراءة، وبالطبع في مجتمع مثل المجتمع الياباني، سيكون التأثير واسعاً لدى الأجيال الشابة، لأنهم يقرأون ويتأثرون حتماً بمواقفه وكلامه".

إبنته المريضة
وكان ابنه هيكاري المصاب بتلف في الدماغ مصدر إلهام قوي لكتابات الأدبية، إذ كان لا يستطيع هيكاري التواصل مع أفراد أسرته لعدة سنوات ولكنه أصبح معروفاً كمؤلف موسيقي عندما بلغ. وقال أوي إن معظم كتاباته كانت محاولة لمنح هيكاري صوتاً.

وولد أوي في شيكوكو، وهي أصغر الجزر الرئيسية باليابان، وكان ترتيبه الثالث بين سبعة أشقاء. وربته أمه بعد أن توفي والده فجأة عام ١٩٤٤، والذي كان يشتري له الكتب والروايات.

شرع أوي، الذي تخرج من جامعة طوكيو ودرس الأدب الفرنسي، في نشر قصصه بينما كان طالباً وفاز عام ١٩٥٨ بجائزة أكو تاجاوا التي تمنح للكتاب المبتدئين. وتبع ذلك سيل هائل من المؤلفات، من بينها كتب عن قصف هيروشيما وناكازاكي. وفاز الروائي الياباني الراحل بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٤، وفي هذا الشأن توضح جرجور أن "فوز الكاتب بجائزة نوبل للأدب يعبر عن رمزية في غاية الأهمية، وفي الغالب من يستحق هذه الجائزة يكون من أصحاب الشروعات الثقافية والأدبية، ومن وصلت كتاباتهم إلى مستوى عالمية، وترجمت إلى لغات مختلفة".

• عن موقع الحرة

